

معجم "نظام الغريب في اللغة" للربيعي

(ت 480 هـ)

إطلالة على المؤلف والمؤلف .

د / الطاهر مشري
(ج. أدرار)

الملخص :

المعاجم المعنوية كثيرة فيها الذي طبقت شهرته الآفاق ، وفيها الذي لم يشتهر إلا في نواحي المشرق العربي، أما المغرب العربي فلا حظ له فيه لأسباب كثيرة ليس مقامها هنا ومن هذه المعجمات المعنوية التي لم يكن لها حظ في المغرب العربي منها معجم "نظام الغريب في اللغة" لعيسى بن إبراهيم الربيعي الذي حاولت أن أضيء جوانب عنه ضمن هذا البحث المتواضع وتناولت فيه: حياة الربيعي؛ اسمه وولادته ونشأته وانتسابه وإخوته وشيوخه وتلاميذه وآثاره ووفاته وما قيل عنه؛ ثم تطرقت إلى هذا المعجم مستفسرا عن معنى كلمة "نظام" ومعنى لفظة "الغريب في اللغة". معرجا على التأليف في غريب اللغة. راجعا إلى تاريخ تأليف "نظام الغريب" و شرحه وتلخيصه ، مبينا مضمون المقدمة، ومادة الكتاب و منهجه في الشرح و مصادره التي أخذ عنها ولم يصرح بها .مركزا فيما بعد على توثيقه للمادة اللغوية بالشاهد الشعري والقرآني، والحديث النبوي الشريف؛ وما يتعلق بذلك من المستويات الصوتية والصرفية والدلالية باختصار؛ لأختم بخاتمة في عدة نقاط ، تناسب المقام.

مقدمة :

تختلف أسماء المعاجم، باختلاف مضامينها، فهناك معاجم الترجمة، ومعاجم الحيوان ومعاجم النبات... وهناك معاجم الألفاظ، ويقابلها المعاجم المعنوية¹؛ التي تفيد القارئ في إيجاد لفظ لمعنى من المعاني التي تدور بخلده، ولا يدرك التعبير الدقيق عنه، وبرزت هذه المعاجم المعنوية على مراحل: ففي المرحلة الأولى، برزت على شكل رسائل لغوية صغيرة، مثل: كتاب المطر واللبأ واللبن لأبي زيد الأنصاري (ت230هـ).

وفي المرحلة الثانية: ألقت فيها كتب أوسع حجماً مثل: الألفاظ لابن السكيت والألفاظ الكتابية للهمداني .

وفي المرحلة الثالثة: برزت على شكل مدرسة إمامها أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) حيث صبت الرسائل اللغوية في غريبه "المصنف"² "فكان نهجاً جديداً يستهدف جمع اللغة بحسب الموضوعات".

ومعجم نظام الغريب في اللغة لعيسى بن إبراهيم الربيعي (ت 480 هـ) ينتمي إلى هذه المجموعة المذكورة. ولم يكتب لهذا المعجم الشهرة حتى يتداوله الطلبة والباحثون. وله طبعتان الأولى بإخراج المستشرق "بولس برونلله" عن مطبعة هندية بالقاهرة ، والثانية بتحقيق الحوالي عن دارالمأمون للتراث بيروت لبنان.

أولاً: المؤلف و الكتاب :

أ- المؤلف:

1- اسمه: هو عيسى بن إبراهيم الربيعي اللغوي أبو محمد³، وكل مصادر ترجمته⁴ لم تختلف في شيء مما سبق.

2 - ولادته ونشأته. كل المصادر السابقة تشع عن ذكر تاريخ ولادته والتعرض لحياته، حتى أن الحميري قال: ((لا أعرف حاله، إلا أنه مصنف كتاب نظام الغريب))⁵. وبذلك يبقى الغموض يكتنف حياته.

3- انتسابه. يُنسب إلى بلدة وحاطة باليمن، ويقال لها وحاطة⁶ بضم الواو، أو أحاطة بضم الهمزة، وقال السمعاني: (الوُحاطي... وهو بطن من حمير، والمشهور بالانتساب إليها جماعة... وو حاطة قرية باليمن)⁷.

4 إخوته. لم تفصح المصادر التي ترجمت له إلا عن اسم أخ، هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الربيعي... اشتهر بقصيدة في غريب اللغة سماها: (قيد الأوابد)⁸.

5- شيوخه وتلاميذه. لم تذكر المصادر شيئاً عن شيوخه. وذكرت المصادر تلميذاً واحداً له، وهو أبو الحسن الفارسي⁹.

6 - آثاره. كذلك لم تذكر له مصادر الترجمة إلا كتاباً واحداً، وهو (نظام الغريب).

7 - أقوال عنه. ((قال الخزرجي: كان فقيهاً فاضلاً، نحويّاً لغويّاً مبرزاً، صنف نظام الغريب.

وقال الجندي: كان رأس الطبقة في اللغة، وعليه المعول في اليمن))¹⁰.

8- وفاته: اتفقت كل مصادر ترجمته على سنة الوفاة ومكانها 480 هـ — بأحاطة، باستثناء مصدر واحد¹¹، ولكن كل المصادر تسكت عن سبب الوفاة.

ب- معجم "نظام الغريب" من العنوان إلى الألفاظ :

1- معنى كلمة نظام.

جاء في معنى هذه الكلمة: (النظم؛ التأليف... ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك... وكل شيء قرنته بآخر... فقد نظمته...

والنظام؛ ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام، ونظام كل أمر ملاكه... يقال: ليس لأمره نظام، أي: لا تستقيم طريقته... النظام: العقد من الجوهر، والخرز، ونحوها...)¹².

من خلال ما سبق يمكن إدراك معانٍ متقاربة لكلمة (نظام) من معاني الجمع والاقتران والاستقامة، أي: البعد عن الاغوجاج والتشويش.

لكن على ما يبدو فإن المؤلف اعتقد أن الوحدات الغريبة بمثابة الجواهر فوجب إثباتها في نظام خاص بها يسهل فهمها.

2 - معنى لفظة الغريب في اللغة.

أول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع لفظة: ((الغريب)) هو ما يقابلها في المعنى وهو (الوضوح)، باعتبار أن الكلام عن هذا الطرف يقتضي الكلام عن الطرف الآخر، فالواضح من الكلام: ((الذي يفهمه كل سامع عَرَفَ ظاهر كلام العرب))¹³، أي: أن الذي لا يعرف غير الظاهر من الكلام، يكون الكلام غريباً عنه ولا يستطيع فهمه بسهولة، وبمعنى آخر؛ أن كل كلام له عدة احتمالات للفهم يكون غريباً، ولعل هذه هي إحدى صورتَي الغرابة عند السيوطي¹⁴. وقد عقد ابن فارس ((باب في مراتب الكلام...)) اعتبر فيه الغرابة من فروع الكلام المشكل، حيث يقول: ((فأما المشكل لغرابة لفظه كقول القائل: يَمْلَحُ في الباطل مَلْحاً، وينقض مذكرويه...))¹⁵ فهذه الكلمات والعبارات التي جيء بها تحتاج إلى إعمال فكر وتفتيش المظان، وقيل عن الغريب: ((والغريب؛ الغامض من الكلام))¹⁶. ولعل ما جاء في الصاحي، واللسان، يناسب ما جاء عند السيوطي¹⁷.

ومما سبق نلاحظ التعميم في الإطلاق، إذ لم تحدد الغرابة بزمان، ولا بمكان، وهذا يجر إلى اعتبار الكلمة الغريبة في القديم تبقى غريبة في سائر العصور، ولا نغير أدنى اهتمام للقارئ والسماع، حيث يختلف الفهم عبر العصور، فما كان متداولاً فهم، وما لم يكن متداولاً صُعب فهمه؛ وفوق ذلك، فإن الغرابة شيء نسبي¹⁸؛ باعتبار تغير الألفاظ من عصر لآخر، وكذا بعض القبائل التي أخذت عنها اللغة بحيث امتازت ألفاظها بالغرابة¹⁹.

وهذا ما يدعو إلى اعتبار إطلاق لفظة الغريب في اللغة فيه نظر، حيث أن الوحدات المعجمية التي جيء بها في هذا المعجم فيها ما توشَّح بالغموض، وفيها ما هو واضح معلوم.

فمن الألفاظ التي تحتاج إلى تنقيب: ((اللهق: الثور الوحشي))²⁰.

ومن العبارات: (فَدَرَ الفَحْلُ: إذا افتر عن الضراب)²¹.

ومع وجود لكلمات غامضة، فلم نعدم وجود كلمات سهلة، مثل: (الحالك: الأسود)²².

ويمكن استنتاج أن المؤلف قصد إلى تقريب الألفاظ، والتراكيب المستعصية على الفهم لدى البعض وجعلها تنتظم في أبواب مختصرة ليسهل التمكن منها.

وقد اعتبر بعض اللغويين أن الغريب له علاقة مقاربة مع الوحشي والشاذ، والنادر، باعتبار أن هذه الألفاظ المتقاربة تأتي خلافاً للكلام الفصيح²³.

3 - التأليف في غريب اللغة.

لم يكن كتاب "نظام الغريب في اللغة" للربيعي، إلا حلقة متأخرة في حلقات التأليف المعجمي في الغريب، الذي يشمل القرآن الكريم، والحديث الشريف، واللغة، وفي كل ذلك لا نستطيع الفصل بين كل واحد مما سبق.

وسأذكر فيما يلي بعض ما عنون باسم الغريب على سبيل التمثيل، لا الحصر، مرتباً ترتيباً زمنياً:

- غريب القرآن المنسوب لعبد الله بن عباس (ت 68هـ).
- الغريب الوحشي²⁴ لأبي مسحل القرن الثاني للهجرة.
- تفسير الغريب²⁵ لأبي محمد بزرج بن محمد العروضي الوفي .
- غريب المصنف²⁶ لأبي عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي (ت 175هـ).
- غريب المصنف²⁷ لأبي عمرو إسحاق الشيباني (ت 206هـ).
- الغريب²⁸ في اللغة لقطرب (ت 206هـ).
- غريب الأسماء²⁹ لأبي زيد الأنصاري (ت 215هـ).
- غريب الحديث³⁰ لأبي عبيد (ت 224هـ).
- الغريب المصنف³¹ لأبي عبيد (ت 224هـ).
- غريب الحديث³² لابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ).
- غريب اللغة³³ للحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت 385هـ).

- المنتخب من غريب كلام العرب³⁴ لابن اللوقشي (ت 489هـ).
- المسلسل في غريب لغة العرب³⁵ لابن عبد الله التميمي (ت 538هـ).

4- تاريخ تأليف نظام الغريب.

في معظم الأحوال؛ يتبين تاريخ تأليف كتاب ما بالتاريخ المحدد الذي يكتبه مؤلفه، أو بقرائن زمنية، تعطي الوجة التقريبية لتاريخ تأليف الكتاب، أو للكاتب كتب أخرى، وهذا ما لا يوجد، ولو تمكنت من معرفة الشخص الذي أشار له بتأليف الكتاب لقدرت التاريخ النسبي، لكن كل المعلومات تشح عن مولده، ونشأته - كما سبق - وعلى ذلك يبقى الغموض يشوب تاريخ التأليف لهذا الكتاب ((نظام الغريب)).

وعدم تحديد تاريخ التأليف لا يعني الإنقاص من قيمة الكتاب، لأن قيمة الكتاب تكمن في مضمونه واستفادة الناس به، فينشأ النقد حوله، والاختصار، والشرح.

5 - نظام الغريب: شرحه وتلخيصه.

أثر الشرح والتلخيص في القديم لكل كتاب استقطب الاهتمام، وقد حظي كتاب ((نظام الغريب)) بشرح وتلخيص.

- شرحه:

لم يؤثر إلا شرح واحد لهذا الكتاب، وهو الشرح المنسوب لعبيد الله بن الإمام شرف الدين الحسيني ملك اليمن، الذي توفي سنة 973هـ³⁶.

- تلخيصه:

كذلك لم يؤثر إلا اختصار واحد منسوب لجمال الدين يوسف بن عبد الله القاهري، وسماه ((تحفة البلغاء من نظام اللغة))³⁷.

6- مادة الكتب.

لقد صرح الربيعي فقال: "لكن أقتصر فيه على المستعمل من غريب اللغة، وما قالته العرب وتداولته في أشعارها وخطبها وتجاذبه في أمثالها ومقاماتها ومخاطباتها"³⁸.

من خلال الكلام السابق، يعطي لنا صورة واضحة عن المادة اللغوية التي أتى بها في كتابه، وهذه المادة تتمثل في وحدات لغوية غريبة، ليست مهمة بل مستعملة، وهذه الوحدات لم تكن بمعزل عن خطب العرب وأشعارها، بل هي في ثناياها.

شفع الوحدات المعجمية بالاستشهاد من القرآن الكريم والحديث النبوي، والأقوال والأمثال وبعض الأسجاع، واتخذ بعض القضايا الصرفية وعلق عليها، وهو بذلك يهدف إلى الوصول إلى مادة تعليمية تفيد طلاب اللغة العربية الذين تند عليهم بعض الاستعمالات تبعاً لصعوبتها، والتي ذللها المؤلف لهم.

ومادة الكتاب توزعت على الأبواب البالغ عددها مائة وخمسة أبواب، أولها وأكبرها "خلق الإنسان"، وأصغرها "باب في فروق الضروع"؛ سطر ونصف.

7- منهجه في الشرح.

لم يصرح "الربيعي" بطريقة منهجه لشرح الأدوات المعجمية، ولم يشير إلى ذلك صراحة أو ضمناً؛ ولذا يتعين أخذ عينات من بعض الأبواب -للتمثيل لا الحصر- قصد استكناه منهجه في الشرح.

1- الوحدة المعجمية في نظام الغريب يمكن أن تكون لفظة واحدة، أو جملة، مثل:

"الْقَمَحْدُوَّةُ: مُنْحَدِرُ الْفَقَا عَنْ أَغْلَى الرَّأْسِ، وَجَمْعُهُ قَمَاحِدٌ"³⁹.

"عَيْنٌ حَوْرَاءُ: إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً سَوَادِ السَّوَادِ، شَدِيدَةً بَيَاضِ الْبَيَاضِ"⁴⁰.

2- الشرح يكون بالترادف المباشر، أو بالجملة، مثل:

"الْيَأْفُوخُ: الرَّأْسُ"⁴¹.

"وَالْقَمْعُ: وَرَمُ الْأَجْفَانِ وَاحْمِرَارُهَا مِنْ عَارِضٍ يُصِيبُهَا"⁴².

3- التمثيل يكون بالقرآن والحديث والشعر -وهو أكثرها- والأقوال والأمثال. "يقال: قاب الرمح، وقاب القوس، أي: قدر طوله"⁴³، قال الله تعالى: "قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى"⁴⁴.

"وَالْكُتْبَةُ مِنَ اللَّبَنِ: قَلِيلٌ مِنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَأْتِي أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَرْأَةِ الْمَغِيْبَةِ فَيَحْدَعُهَا بِالْكُتْبَةِ اللَّبَنِ"⁴⁵.

"والأضم، والأضمة: الحقد، والجمع أضمات، قال:

ردينة لو رأيت غداة جئنا ** على أضماتنا وقد اجتويناً"⁴⁶.

"والكلب-بالفتح: إظهار العداوة، ومنه: كلب علينا الزمان"⁴⁷.

"والخلف: الخطأ أيضاً، ومن أمثالهم: "سكت ألفا ونطق خلفاً"⁴⁸.

4- التعميم والتخصيص: بعض أبواب الكتاب تفرض التعميم والتخصيص، مثل: "باب فيما جاء في الشجاع".

"أول الشجاع الحارصة، وهي التي تقشر الجلد... وبعدها الدامية؛ وهي التي سال منها دم قليل، وبعدها الباضعة؛ وهي التي أخذت في اللحم قليلاً... الخ"⁴⁹.

5- يشير إلى المعاني المتفرعة، مثل:

"ويقال: حرب زبون للشديدة التي تزين من مارسها... وأصله الناقة الزبون... والزبن الدفع الشديد"⁵⁰.

وبالنظر إلى ما سبق من عينات مشروحة، يفيد الباحث أن ينظر إلى منهج الشرح في نظام الغريب: أيوافق منهج سابقه أم لا؟ وهذا السؤال يستدعي جلب أمثلة لنفس الكلمة المشروحة من كتب غريب القرآن والحديث واللغة -على سبيل المثال- ثم النظر في مدى اتفاهه أو اختلافه معهم... ننظر إلى كلمة "عزين":

في مسائل ابن الأزرق لعبد الله بن عباس (ت68هـ) وتعد من غريب القرآن:

"قال نافع بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قوله تعالى: "عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ"⁵¹.

فقال ابن عباس: عزين؛ الخلق من الرفاق. فسأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ فقال: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

فجاءوا يهرعون إليه حتى ** يكونوا حول منبره عزينا"⁵².

وفي نظام الغريب: "والعزون: الجماعات، واحدها عزة، قال تعالى: "عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ"⁵³"⁵⁴.

فعندما نقارن بين الطريقتين نجد الشكل يختلف، من حيث أن اللفظة أثبتت بعد الآية: نظراً لطبيعة السؤال، والشاهد على الكلمة بيت شعري.

أما المضمون فلا يختلف عند الطرفين، وإن اختلف شرح كلمة "عزيز" في شكل "خلق" و "جماعات" وكتلتاها لها معنى واحد.

واختلفا في الشاهد فالأول شاهده شعري، والثاني آية يريد تأكيد استعمالها.

8- مصادر نظام الغريب في اللغة.

كثير من اللغويين القدامى، يتخذون من خطبة كتبهم مجالاً لذكر الكتب التي اعتمدوا عليها في التأليف والتوثيق، وأبرز واحد لهذا الصنف هو ابن سيده (458هـ) في كتابه "المخصص" حيث ذكر في خطبة الكتاب العلماء الذين استقى من كتبهم. وهناك من اللغويين من لا يذكر شيئاً من الكتب التي اعتمدها، وصاحب "نظام الغريب" كان من هذا الصنف، حيث لم يشر لا من قريب، ولا من بعيد إلى ما اعتمده من مصادر، ولكن أثناء تحقيق الكتاب، وتوثيق نصوصه تبين بأنه يستقي معلوماته من الرسائل اللغوية القديمة وكتب الغريب؛ وهذه أبرز الكتب التي اعتمدها بدون أن يذكرها، ويأتي ذكرها بدون ترتيب:

خلق الإنسان للأصمعي . وثابت . الفرق للسجستاني . وابن فارس. الإبل للأصمعي، المطر، واللبأ، واللبن لأبي زيد (ت230هـ) النبات المنسوب لأبي حنيفة الدينوري، الرحل والمتزل للأصمعي، النخل والكرم.

الغريب المصنف لأبي عبيد، أدب الكتاب لابن قتيبة، الأضداد لابن الأنباري .

ومع أنه لم يصرح بأسماء الكتب ولا العلماء الذين ينقل عنهم، فإن ما عرض في الكتاب يحيلنا على عدد كبير من أعلام اللغة.

ثالثاً: التوثيق بالشواهد.

1 - التوثيق بالشاهد الشعري.

قبل نزول القرآن الكريم، كانت للشعر منزلة لا تضاهيها منزلة أخرى لدى العرب، ولما نزل القرآن الذي بهرهم بفصاحته، لم يغيب الشعر عن ساحتهم، بل كانت له أدوار كثيرة ومنها دور في فهم معاني القرآن الكريم؛ ويعضد هذا قول عبد الله بن عباس (ت 68): "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب" 55.

فكان ابن عباس يستشهد بالشعر لتأكيد شرحه لبعض ألفاظ الآيات القرآنية.

ولم يكن "نظام الغريب في اللغة" بدعا في ذلك، فقد سبق بكتب في غريب الحديث، وغريب اللغة، فيهما من الشعر ما يضاهيه وأكثر، ولكنها غير مختصرة، كما هو حال "نظام الغريب" الذي جاء مختصراً ومقتصراً على أمور فقط 56، ومع اختصاره، جاءت شواهد الشعرية بما فيه الكفاية، حيث بلغت أكثر من تسعمائة شاهد شعري، ونادراً ما يستشهد بالشطر.

2 - صور اللوازم قبل البيت الشعري.

لقد استعمل الربيعي قبل شواهد الشعرية عدة صور لازمة؛ فهو يذكر اسم الشاعر صراحة مثل: قال طرفة، وأخرى يذكر نسبه، مثل: قال الذبياني.

وهو عندما يذكر اسمه بدون نسبه، يوقع القارئ في إهمام، مثل ذكره "النابعة" أو "الأعشى" بدون تنمة النسبة، فالقارئ أمام عدة نوايع، وأعشون، اللهم إذا كان القارئ حفاظة للشعر ونسبه.

وذكر للنسبة فقط، يوقع القارئ كذلك في إشكال، مثل: الهذلي، فالهذليون من الكثرة بحيث لا بد من ذكر أسمائهم كي لا يختلط الأمر.

وتارة يستعمل أنشد، وقال: وهذه اللوازم مجترة من كتب القدماء.

3 - حول الشواهد الشعرية في الكتاب.

- يأتي الشاهد الشعري بعد الوحدة المعجمية وتفسيرها مباشرة، مثل: "الشواة: جلد الرأس، قال الأفوه الأودي:

إن ترى رأسي في صلع ** وشواقي حلة فيها دوار" 57.

- يأتي الشاهد بعد فاصل من الكلام الغريب بينه وبين اللفظة المعجمية.

مثل: "ابيضاض أشفار العينين، وقلة سوادهما لترك الاكتحال، والمآق، والمؤق: مختصر العينين، وجمعه مآق، وآماق، وقال في المره:

أبيض وضاح الجبين والفم ** أحور لم يمره ولم يكلثم" 58.

- الاكتفاء بشطر من البيت، "قال ذو الرمة يصف صائداً:

أو كان صاحب أرض أو به موم" 59.

- تلفيق البيت الواحد من بيتين مختلفين لنفس الشاعر، مثل بيت المتقب العبدى:

أرين محاسناً وكتمن أخرى ** وثقبن الوصاوص للعيون.

وهو ملفق من صدر بيت، وعجز آخر، انظر: البيت الحادي عشر، والثاني عشر في المفضليات/289، وهما على التوالي:

ظهرت بكلة وسدلن أخرى ** وثقبن الوصاوص للعيون

أرين محاسناً وكتمن أخرى ** من الأحياد والبشر المصون" 60.

5- تلفيق البيت الواحد من بيتين مختلفين لشاعرين مختلفين مثل:

ومدحج كره الكماة نزاله ** هملت قناتي من مطاه وعلت

فالشطر الأول لعنترة بن شداد من معلقته، انظر ديوانه (دار صادر/26) وتمامه:

ومدحج كره الكماة نزاله ** لا ممعن هرباً ولا مستسلم.

والشطر الثاني لعباء بن أرقم من البيت رقم 6 (الأصمعيات/162) وتمامه:

ومناخ نازلة كفيت وفارس ** هملت قناتي من مطاه وعلت" 61.

- التزامه في معظم الأحيان بشرح بعض ألفاظ البيت المستشهد به مثل: "قال رؤية:

إن يضح رأسي خلق المموه.

براق أصلاذ الجبين الأجله.

بعد غداني الشباب الأبله.

المموه هاهنا: ري الوجه ونعمته، والغداني: الناعم الريان⁶².

- ذكر في أحيان ما تروى به بعض كلمات البيت، مثل:

"قال أوس:

وشبه الهيدب العمام من ** الأقوام سقياً مجحلاً فرعا

ويروى جزعاً"⁶³.

- تعدد الاستشهاد بالبيت الواحد بدون تغيير في روايته، لصلاحية وموافقة كلمات فيه تعبير عن المعنى المراد.

ومما جاء في هذه الظاهرة على سبيل المثال:

استشهاد ببيت لامرئ القيس مرتين، والبيت هو:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ** ترائبها مصقولة كالسجنجل

الأولى لتأكيد معنى لفظة: "الترائب"⁶⁴.

والثانية لتوكيد معنى لفظة: "المهفهفة"⁶⁵.

ج- الأطلس الشعري لنظام الغريب.

المعروف أن النحاة واللغويين العرب، كلفوا أنفسهم بوضع أطلس لغوي لجميع الشواهد اللغوية التي يحتاج بها خاصة، وحدد ذلك الأطلس زمانياً، ومكانياً، لا يجوز تجاوز حدوده من الناحيتين السابقتين. فمن الناحية الزمانية فقد حدد بمنتصف القرن الثاني للهجرة للاحتجاج بأقوال الذين عاشوا في الجاهلية، أو عاشوا في الإسلام وكانوا من مخضرمي الجاهلية والإسلام من سكن البدو أو الحضر منهم على حد سواء.

أما أهل البادية فقد استمر الاستشهاد بشعرهم إلى غاية القرن الرابع الهجري.

أما الناحية المكانية التي يقصد بها تلك القبائل العربية التي أخذت منها اللغة، فكان المقياس الرئيسي للاحتجاج بأقوالها تكمن في مدى القرب والبعد، والاختلاط بالجوار، مع أجناس، وأعراق أخرى غير غربية، فإن بعدت القبيلة عن الاختلاط والجوار أخذت أقوالها وأشعارها حجة، وإن قربت أو خالطت كان ذلك إيذاناً برفض الاستشهاد بأقوالها تحريراً واحتياطاً من التأثير، والتأثر الذي يفسد السليقة العربية⁶⁶.

وتبعاً للتحديد الزماني أو المكاني ظهرت طبقات الشعراء.

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.....

والثانية: هم المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان.....

والثالثة: هم الذين أدركوا صدر الإسلام وعصر بني أمية.....

والرابعة: الذين أدركوا العصر الأموي وعاشوا في العصر العباسي.....

فالطبقة الأولى والثانية لم يقع خلاف حول الاستشهاد بشعرها وأما الثالثة فقد صح الاستشهاد بها مع شذوذ استثنائي مثله أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) حيث يقول: "لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا برواية شعره، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق... وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين"⁶⁷.

ورأي عمرو بن العلاء، لم يمنع غيره أن يعارضوه فيما جاء فيه واستشهدوا بشعر الطبقة الثالثة، ولم تكن هناك غضاضة، أما الطبقة الرابعة فقد منع اللغويون الاستشهاد بها، وهذا المنع لم يكن عائناً أمام البعض مثل الزمخشري في القرن السادس ليستشهد بشعر أبي تمام ببيت من شعر تفسير أوائل سورة البقرة⁶⁸.

وقد بلغ عدد المستشهد بشعرهم في نظام الغريب ما ينيف على المئتي شاعر، وشاعرة، احتوهم الطبقات السابقة بنسب مختلفة... مع أن كثيراً من المستشهد بشعرهم ليسوا من الفحول وشعرهم لا يحتاج به عند بعض اللغويين، وعلى سبيل المثال من هؤلاء

الشعراء الكميت بن زيد، الطرماح بن حكيم، وابن قيس الرقيات⁶⁹، وأبو زيد، وعروة بن الورد، وعمرو بن كلثوم، وغيرهم⁷⁰.

د- شعراء نظام الغريب والطبقات.

1- الطبقة الأولى (الجاهليون):

امرؤ القيس، والنابعة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة ابن العبد، وعنترة، وأوس بن حجر، وعلقمة الفحل، وأبو دواد، وقيس بن الخطيم... الخ.

2- الطبقة الثانية (المخضرمون):

الخطيئة، وعمرو بن أحمز الباهلي، والشمخ بن ضرار، والنابعة الجعدي، والخنساء والعباس بن مرداس، وأبو خراش الهذلي، وأبو زيد الطائي... الخ.

3- الطبقة الثالثة (الإسلاميون):

العجاج، ورؤبه، وذو الرمة، والفرزدق، وجريز، والكميت، والراعي، وكثير والقطامي... الخ.

4- الطبقة الرابعة:

أبو نواس، وبشار.

رابعاً- المستويات اللغوية.

1- المستوى الصوتي:

أ- القلب:

"خزن اللحم وختر: تغيرت رائحته،.. قال طرفة في خزن:

نحن لا نخزن فيها لحمنا ** إنما يخزن لحم المدخر"⁷¹.

ب- تحقيق الهمزة:

"الكأس مهموزة: القدح نفسه، وكثيراً استعملهم ذلك حتى جعلوا الكأس الخمرة عينها، قال:

وكأس كعين الديك باكرت حدها ** بفتيان صدق والنواقيس تضرب"72.

2- المستوى الصرفي:

أ- صيغ الجمع:

"والقمحدوة: منحدر القفا من الرأس، وجمعه قماحد، قال الشاعر:
فإن يقبلوا نطعن ثغور نحورهم ** وإن يديروا تضرب أعالي القماحد"73.

ب- صيغ التثنية:

"والخششاء: ممدود العظم الناتئ خلف الأذنين، وتثنيته خششاوان، قال العجاج:
في خششاوي حرة التحرير"74.

3- المستوى الدلالي:

حل الشواهد الشعرية جاءت منصبة على التوثيق الدلالي ألفاظاً، وأساليب؛ لتعزid
صلاحية استعمالها:

أ- "والجناجن: عظام الصدر، قال جرير بصف قطاة:

يسقين بالأدهى فراخ تنوفة ** زغباً جناجنهن حمر الخوصل"75.

ب- "ويقال: دفعت الرجل فقطرته: إذا وقع على قطره، قال الشاعر:

أقول لمحرز لما التقينا ** تنكب لا يقطرك الزحام"76.

- ملاحظات عن الشواهد الشعرية:

1- اختلاف عدد شواهد الباب عن الآخر؛ وذلك تبعاً للألفاظ المستشهد لها، إذ هناك
ألفاظ، لا يوثقها بشاهد مثل لفظة "الكاعب"77، وهناك الباب الرابع والثمانون "ومن
أسماء القمر"78 لم يستشهد فيه بالشعر.

2- قليلاً ما يجمع بين الشواهد الشعرية والقرآنية.

3- لم يستشهد بما فوق البيتين إلا نادراً، وعلى سبيل المثال توثيق كلمتي: القمر،
والضريح، بشعر لمطيع بن إياس79 وتوثيق كلمة "الجانان" بأبيات للخطفي جد جرير80.

خامساً- التوثيق بالشاهد القرآني.

القرآن بلا ريب هو أعلى مراتب الكلام العربي بدون منازع والكل أذعن له حاضراً، وبذلك فهو من ضمن الشواهد التي يحتج بها لقضايا لغوية وغيرها، وقد بلغت الآيات المستشهد بها ما يقارب الثمانين آية، وبذلك يأتي الشاهد القرآني في المرتبة الثانية بعد الشعر.

أ- أهم القضايا التي وثقتها الآيات.

1- قضايا صوتية:

الإبدال: والحدث، والجذف: القبر، قال الله تعالى: "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا"⁸¹.

2- قضايا صرفية:

أ- صيغ الإفراد: مثل: الأحياء واحدها جيد، قال تعالى: "فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"⁸².
 ب- صيغ الجمع: ورجل ألد، وهو شديد الخصومة لا يقاوم فيها... وجمعه لد، قال الله تعالى: "قَوْمًا لَّدَا"⁸³.
 والشمس مؤنث والقمر مذكر، قال تعالى: "فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا"⁸⁴، وقال: "فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً"⁸⁵.

3- قضايا دلالية:

والنقيض: نقطة صغيرة في ظهرها، قال تعالى: "وَلَا يُظَلَّمُونَ تَغْيِيرًا"⁸⁶. والثبات، والثبوت
 مثله، واحدهما ثبة، قال تعالى: "فَافْتَرَوْا ثُبَاتٍ أَوْ فَنفَرُوا جَمِيعًا"⁸⁷.
 ب- ملاحظات حول الشاهد القرآني.

1- يستشهد بجزء من الآية، تكون محل الشاهد، مثل: "عُثَاءً أَحْوَى"، وتمامها: "فَجَعَلَهُ عُثَاءً أَحْوَى"⁸⁸.

2- الاستشهاد بالآية لتعزيد التوثيق الشعري وتأكيده، مثل: والاجتهاب: ضرب من السير... وقال:

جواب ببداء بها عذيف.

لا يأكل البقل ولا يريف.

وأصله من الدخول في الشيء، قال الله تعالى: "وَتَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ" 89.

سادسا- التوثيق بالحديث النبوي:

هناك خلاف حول الاستشهاد بالحديث النبوي عند النحاة واللغويين، فمنهم من منع الاستشهاد به طويلاً وعرضاً؛ لاعتبارات كثيرة، منها: عدم الوثوق من أن ذلك لفظ الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتجويز الرواة النقل بمعنى، وأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب.

وأشهر المانعين أبو حيان الأندلسي (ت 475هـ) رغم أن سيويه (ت هـ) هو من أسبق من استشهد ببعض الأحاديث في كتابه.

أما المجيزون فقد اعتبروا حجج المانعين قابلة للمناقشة؛ وأنها غير منطقية حيث أن الرواية باللفظ هي الأصل، المعنى احتمال عقلي، أما اللحن الموجود في بعض الأحاديث فهو ضئيل بمقارنته بالآلاف الصحيحة، وأشهر من أكثر الاحتجاج بالحديث النبوي ابن خروف (ت هـ) وابن مالك، ونجد بين الرأيين السابقين من أخذ الوسط وهو الشاطبي فحوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها 90.

وقد بلغت الأحاديث النبوية الشريفة أكثر من عشر حديثاً، وبذلك تأتي في المرتبة الأخيرة.

أ- أهم القضايا التي وثقتها الأحاديث.

1- قضايا صوتية:

القلب: خزن اللحم وختر، تغيرت رائحته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا بنو إسرائيل ما ختر اللحم" 91.

2- قضايا صرفية:

صيغ الأفراد: وامرأة مكيسة: تلد الكيساء، أي: العقلاء وأحدهم كيس، وفي الحديث: "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت" ⁹².

3- قضايا دلالية:

والتوشير والتفليح: تباعد الثنايا، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لعن الله الواثمة والموشومة والواشرة والمستوشرة والواصلة والمستوصلة والنامصة والمنتمصة..." ⁹³.

ب- ملاحظات حول الشاهد النبوي.

- 1- يستشهد بجزء من الحديث إذا كان طويلاً.
- 2- يستشهد بالحديث كاملاً إذا كان قصيراً.
- 3- يجرد الحديث من السند.

خاتمة :

- 1- يعتبر هذا الكتاب من المعاجم المعنوية المهمة في التراث العربي
- 2- تفرد بعنوان لم تتسم به المعاجم الأخرى.
- 3- يكثر من الاستشهاد بالشعر.
- 4- لا يغفل الاستشهاد بالقرآن والحديث.
- 5- اهتم به العلماء القدامى.
- 6- خزانة تراثية في كتاب.
- 7- غرابته ليست في ألفاظه بل في نظامه.



الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- وتسمى كذلك معاجم الموضوعات.
- 2- مقدمة الصحاح لعبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي القاهرة، 1956. ص 99.
- 3 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة 1964. ج 2/ ص 235.
- 4- معجم الأدباء للحموي 146/16، وهدية العارفين 210/1، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة عشر، 1999. ج 5/ ص 283، معجم المؤلفين، رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دت، ج 8/ ص 18.
- 5 - معجم الأدباء لياقوت الحموي، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة 1936، ج 16/ ص 146.
- 6 - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق وتقدم، جمال طلبة، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1998 ج 1 / ص 116. ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، نشر مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الأولى 1906 ج 5 / ص 363 .
- 7 - الأنساب للسمعاني، تحقيق: عبد الرحمن اليماني، وزارة المعارف الهندية حيدر أباد، 1962. ج 5/ ص 576-577.
- 8 - بغية الوعاة للسيوطي ج 2/ ص 235، وإنباه الرواة القفطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية بالقاهرة 1950 ج 1/ ص 226-227، وذكر في هدية العارفين ج 1/ ص 210، ولم يذكر أنه أخ لصاحب نظام الغرب.
- 9 - بغية الوعاة 235/2.
- 10 - بغية الوعاة 235/2.
- 11 - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1992. ج 1/ ص 807، حيث جاءت سنة الوفاة 481 هـ.
- 12 - اللسان (نظم) 446/6.

- 13- الصاحبي في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق وضبط : عمر فاروق الطباع مكتبة المعارف بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1993 . ص 47.
- 14 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تصحيح محمد أحمد وآخرون مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة د-ت. ج 1/ ص 186.
- 15- الصاحبي في فقه اللغة ص 74.
- 16 - اللسان (غرب) 3226/5.
- 17 - المزهر 186/1.
- 18 رواية اللغة للشلقاني دار المعارف مصر، 1971، ص 90.
- 19 - الدراسات اللغوية عند العرب إلى غاية نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1980 ص 166.
- 20 - نظام الغريب 36.
- 21 - نظام الغريب 371.
- 22 - نظام الغريب 31.
- 23 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي، ج 1/ 233- 234.
- 24 - الفهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية بالقاهرة د- ت. ص 214.
- 25 - الفهرست لابن النديم 325.
- 26 - الفهرست لابن النديم 315.
- 27 - بغية الوعاة للسيوطي، ج 1/ ص 440.
- 28 - الفهرست لابن النديم، ص 238.
- 29 - بغية الوعاة للسيوطي، ص 583.
- 30 - الفهرست لابن النديم ، ص 403 (مطبوع).
- 31 - الفهرست لابن النديم ، ص 323 (مطبوع).
- 32 - الفهرست لابن النديم ، ص 403 (مطبوع).
- 33 - هدية العارفين ، ج 1/ ص 684.
- 34 - مطبوع.
- 35 - مطبوع.

- 36 - انظر: مقدمة تاج العروس مرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت 1965، ج 1 / ص3.
- 37 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة دار الكتب العلمية ، القاهرة ، مصر، بيروت لبنان، 1992 ج2/ ص1959.
- 38 - مقدمة (نظام الغريب 91.
- 39 - نظام الغريب 94.
- 40 - نظام الغريب 40.
- 41 - نظام الغريب 50.
- 42 - نظام الغريب 40.
- 43 - نظام الغريب 160.
- 44 - سورة النجم/ الآية 8.
- 45 - نظام الغريب -202.
- 46 - نظام الغريب 160.
- 47 - نظام الغريب 159.
- 48 - نظام الغريب 146.
- 49 - نظام الغريب 134.
- 50 - نظام الغريب 273.
- 51 - سورة المعارج/ الآية 37.
- 52 - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لبنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن دار المعارف بمصر القاهرة 1971/ 278.
- 53 - سورة المعارج/ الآية 37.
- 54 - نظام الغريب 283.
- 55 - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق 269.
- 56 - انظر: آخر مقدمة نظام الغريب ، 12 .
- 57 - نظام الغريب 92.
- 58 - نظام الغريب 101.
- 59 - نظام الغريب 144.

- 60 - نظام الغريب 244.
- 61 - نظام الغريب 298.
- 62 - نظام الغريب 98.
- 63 - نظام الغريب 146.
- 64 - نظام الغريب 113.
- 65 - نظام الغريب 208.
- 66 - اقتراح السيوطي ص56، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1986، ج1 ص 20.
- 67 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى 2001، ج1/ص72.
- 68 - خزانة البغدادي، ص 3. 4.
- 69 - الموشح للمرزباني، تحقيق : علي البجاوي، القاهرة 1965، ص/293-302.
- 70 - نفسه، ص104-119.
- 71 - نظام الغريب 240.
- 72 - نظام الغريب 195.
- 73 - نظام الغريب 94.
- 74 - نظام الغريب 94-95.
- 75 - نظام الغريب 121.
- 76 - نظام الغريب 155.
- 77 - نظام الغريب 40.
- 78 - نظام الغريب 100.
- 79 - نظام الغريب 120.
- 80 - نظام الغريب 121.
- 81 - سورة المعارج، آية رقم 43.
- 82 - سورة المسد، آية رقم 5.
- 83 - سورة مريم، آية رقم 97.
- 84 - سورة الأنعام، آية رقم 77.

-
- 85 - سورة الأنعام، آية رقم 78.
- 86 - سورة النساء، آية رقم 123.
- 87 - سورة النساء، آية رقم 70.
- 88 - سورة الأعلى، آية رقم 5.
- 89 - سورة الفجر، آية رقم 9.
- 90 - الاقتراح للسيوطي تحقيق وتعليق: الدكتور احمد محمد قاسم، الطبعة الأولى القاهرة، 1976 ، ص 55-52.
- 91 - نظام الغريب 204.
- 92 - نظام الغريب 138.
- 93 - نظام الغريب 106.